الفائز بالمركز الأول بجائزة دبي الثقافية للإبداع في دورتها السابعة :

فوزي بالجائزة هو الخطوة الأولى نحو دراسات أكثر عمقاً في مجال الحوار مع الغرب

لا نحتاج إلى نفخ الرماد .. ولكن إلى إعلاء شعلة الثقافة بالعمل الإبداعي البحثي المستمر

{بفوز الباحث اليمني حمود زايد نوفل بالمركز الأول بجائزة دبي الثقافية للإبداع في دورتها السابعة في مجال «الحوار مع الغرب» تكون اليمن قد تصدرت حقلاً جديداً يضاف إلى الحقول الإبداعية الأخرى، وإضافة إلى المركز الأول في هذا الحقل فقد حصدت اليمن ثلاث جوائز أخرى، حيث حصلت على المركز الثالث في مجالي الرواية والتأليف المسرحي والمركز الرابع في مجال الفن التشكيلي.

ويشير الباحث «نوفل» في لقاء أجريناه معه إلى أن بحثه «مآذن وأبراج» هو أول أبحاثه في موضوع «الحوار مع الغرب» وقد فاز من بين (٣٢) باحثاً تقدموا من مختلف الدول العربية في هذا المجال، كما أكد أن حصوله على الجائزة تعتبر الخطوة الأولى نحو دراسات قادمة أكثر عمقاً مضيفاً إلى أن هذه الجوائز ترفع من الروح المعنوية للباحثين وتتبنى مخرجاتهم الفكرية فإلى تفاصيل اللقاء :

لقاء/خليل المعلمي

□ كيف شاركت في المسابقة؟ وكم عدد المتنافسين في هذا المجال؟

– شدني عنوان المسابقة «الحوار مع الغرب» ووجدته موضوعاً جديراً بالبحث والتنقيب لاسيما وأنه كان يحتل جزءاً من تفكيري لفترة سابقة وكنت غالباً ما أقرأ الكثير من الكتب التي تتحدث عن علاقتنا بالغرب ونظرتهما للإسلام والأفكار التي صيغت على مر القرون السابقة عن الإسلام وأهله والتي تجدد الآن بذاتها الصورة السابقة المشوهة والبعيدة عن الواقع والموضوعية، أما بالنسبة لعدد المتسابقين في هذه الجائزة فقد كانوا (٣٢) متسابقاً من جميع الدول العربية.

□ ما هو تأثير الجائزة على مشاريعك البحثية مستقبلاً في مجال الحوار مع الغرب؟

– لا شك أنه الخطوة الأولى نحو دراسات أكثر عمقاً خاصة وأنه فرع من فروع البحث الحيوية والتي يفترض بنا أن نوليه عناية خاصة حيث أن تأثيرها ماثل للعيان في حياتنا اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً ولايمكن نكران مدى تأثرنا بالغرب وعدم تأثيرنا فيه، وهي دعوة للجميع للمساهمة في إثراء هذا الموضوع الذي يمسنا جميعاً والخروج برؤى وأفكار مفيدة.

□ ما هي دعوتك للمؤسسات الثقافية الرسمية منها والأهلية في بلادنا لدعم المبدعين الشباب؟

– الأمر لا يحتاج إلى دعوات ومناشدات بل إلى نيات صادقة، نحن لا نحتاج إلى نفخ الرماد، ولكن إلى إعلاء شعلة الثقافة بالعمل الإبداعي البحثي المستمر، نحن لا نحتاج إلى مؤسسات تُخصص جل ميزانياتها لهذا وذاك وهنا وهناك ثم يصرف على الثقافة الفتات ولكن إلى ثقافة مدعومة لأجل الثقافة.

□ هناك من المبدعين اليمنيين من شاركك في نيل الجائزة في مجالات أخرى كيف تنظر إلى ذلك؟

– نعم هناك ثلاثة آخرون في مجال الرواية والفن التشكيلي والنص المسرحي، وقد كنت آمل رفقتهم في رحلة التكريم إلى دبي لكن الظروف التي تمر بها البلاد العربية جعلت القائمين على الجائزة يكتفون بأقل عدد ممكن من الفائزين من جميع الدول العربية التي شاركت في المسابقة وقد تحدثت عن الموضوع مع الدكتور عمر عبدالعزيز والذي كان فخوراً جداً بفوز أربعة يمنيين لأول مرة في هذه الجائزة وعبر عن أسفه لعدم تمكن الثلاثة الآخرين من الحضور.

□ ماذا تضيف الجائزة للمبدع والباحث وهل تؤثر في نشاطه الإبداعي؟

– إنها تضيف اسماً جديداً إلى سجل المبدعين والمثقفين إذا كان ذلك أول ظهور للمبدع وتضيف رصيداً علمياً فكرياً إلى الفكر والثقافة.. أما بالنسبة لتأثيرها في نشاط الباحث فهو أمر لا خلاف عليه حيث وهي بمثابة الانطلاقة الأولى أو هي منطلق جديد تشد من إزره وتقوي عزيمته نحو تقديم الأفضل واستكمال جوانب أخرى يعتقد أنها بحاجة إلى الاستكمال وتجعله يحاول دائماً ألا يكون دون المستوى الثقافي الذي وصل إليه مما يخلق تحدياً في قرارة نفسه يحفزه لتقديم ما هو أفضل، وإذا ما زاد عدد الجوائز المتخصصة في شتى مجالات الثقافة فإنها ستكون داعماً كبيراً لعملية الثقافة العربية التي أصابها الركود زمناً طويلاً.

□ هل يمكن أن تعطينا نبذة مختصرة عن بحثك الفائز «مآذن وأبراج»؟

– هو بحث في الحوار الثقافي مع الغرب ويتكون من أربعة مباحث: أولها مدخل إلى الدراسة عن خلفية العلاقة بين الإسلام والغرب ونظرة كل واحد منهما إلى الآخر وثانيها نحو الحوار ومدى جدواه، وثالثها عرض للمشاكل والمعوقات التي ستواجهنا في عملية الحوار، وآخرها اقتراح طرق للحوار مع الغرب ثقافياً.

□ من خلال اهتمامك بموضوع الحوار مع الغرب هل ترى أن الغرب جادون بالحوار مع الآخر خاصة العرب والمسلمين؟

– ليس المهم جديتهم في حوارهم معنا بل جديتنا نحن، إذا كان الغرب يقصد من حواره معنا تغيير ثوابتنا الدينية والثقافية وإحلال ثقافته الرأسمالية العلمانية فهذا شأنه وله ما يشاء لكن ماذا عنا نحن، إذا أردنا أن نحاور الغرب لأجل الحوار البناء الفعال الذي لا يتناقض مع ديننا وثقافتنا بل ويتناغم معها انطلاقاً من الأمر الإلهي : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» فإن ذلك سيكون مفيداً ومجدياً بغض النظر عن ما يبيته الغرب فمن مصلحته أن يحقق سياساته الفكرية والسياسية والحصول على فوائد اقتصادية ومن مصلحتنا توضيح ما لم يتضح زمناً طويلاً وإظهار حقيقته وزيف ما الصق به وتبرئة ساحته ثم إشعار الغير بأن لنا ثقافتنا الأصيلة الضاربة جذورها في التاريخ والتي لايمكن إزالتها بسهولة وببساطة وأنها وجدت لتبقى.

□ هل ترى أن الوضع الراهن يسمح لنا عرباً ومسلمين بأن نحاور الغرب؟

– إذا ما نظرنا بإمعان إلى بداية ظهور الإسلام فإن وضع العرب لم يكن يسمح لهم بنشر الدين والحال ذاته اليوم ما يبدو وما يتضح أن وضعنا لا يسمح بذلك بل لا يسمح حتى للتحاور فيما بيننا أصحاب الدين والعرق الواحد، لكن يظل هناك أمر جدير بالاهتمام وهو الأمل ثم العمل لإنجاز ذلك الأمل لأن الأعمال العظيمة تبدأ بفكرة ثم بأمل تنفيذها ثم بتنفيذها حالنا اليوم لن يستمر طويلاً بل إن العكس صحيح أن ما يشهده العالم العربي اليوم يساعد على إظهار صورة الإسلام الحقيقية لأن الأضواء تسلط على بنيه والغرب يلجأ دائما للكتاب والإعلام عندما يشعر بنقص في معلوماته عن شيء ما، فلمَ لا نمده بالكتاب الصحيح والإعلام الصريح، يظل الأمر أملاً ويظل الأمل قابلاً للتحقيق.

□ كيف يمكن أن يساهم العرب والمسلمون في الحوار مع الغرب بشكل فعال؟

– هذا أمر نوقش في البحث وخلاصة الأمر أنه بإمكاننا أن نساهم بشكل فعال إذا ما صدقت نياتنا وأعددنا أنفسنا إعداداً علمياً وأخلاقياً يمكننا من تجاوز النقص والضعف الكامنين فينا، بالتأكيد هذا يحتاج زمناً لكن العمل الدؤوب المخلص قد يختصر الكثير من الوقت خاصة إذا ما آمنا بسمو هدفنا ونبل غايتنا مع الثقة بديننا وبأنفسنا وبقدرتنا على القيام بهكذا عمل ثم الإعداد المناسب من توفير المال اللازم لعملية الحوار والمكان المناسب والوسائل الفعالة والكادر العلمي المؤهل.

□ هل هناك مؤسسات فكرية تعنى بالحوار مع الغرب؟

– كمؤسسات عربية قائمة بذاتها لا يوجد، لكن هنا وهناك تظهر دعوات على خجل من متبنيها بضرورة الحوار مع الغرب مثل الدعوة التي قامت بها جامعة الدول العربية ثم عجزت عن تحقيقها وتلك التي كان يدعو إليها القذافي بين حين وآخر وأسس مؤسسة فكرية وأصدر صحفاً ومجلة لكنها كانت غالباً ما تحيد عن طريقها نتيجة للمزاجية التي كانت تسيرها، في حين نجد المؤسسات الفكرية التابعة للجاليات الإسلامية في بلاد الغرب أكثر نشاطاً وفاعلية لأن الأمر يمسهم بصورة مباشرة لكن مع ذلك لا تزال تلك المؤسسات تحتاج إلى دعم مادي وفكري وإعلامي لتحقيق الهدف المرجو من تأسيسها وما يجب أن ندعو إليه هو تأسيس مؤسسة علمية ضخمة تعنى بالحوار مع الغرب تكون حجر الأساس لعملية حوار حقيقية.

□ هل ترى أن جائزة دبي الثقافية وغيرها من الجوائز في العالم العربي يمكن أن تساهم في دعم الباحثين والمبدعين وتشجيعهم؟

– بالتأكيد نعم لأنها ترفع من روحهم المعنوية بتبني مخرجاتهم الفكرية وإنقاذها من تراب الرفوف وتجاهل الكثير من مؤسساتنا الفكرية والحكومية والتي من المفترض أن تكون راعية لمثل هذه الأعمال وإخراج الباحث من عزلته الفكرية التي يعاني منها رغماً عنه في محيطه المجتمعي إلى نور التواصل الفكري مع غيره من أبناء جلدته في الوطن العربي الكبير، تلك الجوائز تكلف أموالاً يسيرة إذا ما قارناه بما يصرف للكثير من التفاهات والتراهات التي صارت حياتنا اليوم مليئة بها مع فارق كبير فيما تقدمه للمجتمع من نفع.

□ ما هو مستقبل الأعمال الإبداعية والأبحاث التي قدمت إلى الجائزة؟

– ستتم طباعة الأبحاث والأعمال التي حازت على المركز الأول ضمن سلسلة كتاب «دبي» الذي يوزع هدية مع مجلة «دبي الثقافية»، وفي اعتقادي هذا أكبر حافز للباحثين، لأنه إقرار علني بقيمة أعمالهم وإخراجها إلى القراء.

وزارة الثقافة تنظم حفل استقبال للوزير عوبل وتودع الوزير المفلحي

صنعاء – سبأ

نظمت وزارة الثقافة يوم أمس الأول حفلا بمناسبة استقبال وزير الثقافة الجديد الدكتور عبدالله عوبل وتوديع وتكريم وزير الثقافة السابق الدكتور محمد أبوبكر المفلحي .

وفي الحفل قدم الوزير عوبل درع وزارة الثقافة للوزير المفلحي تقديرا لأدواره وإسهاماته في خدمة الثقافة اليمنية .

وأشاد وزير الثقافة الدكتور عبدالله عوبل بما تحقق لوزارة الثقافة في فترة أدارة الدكتور المفلحي ...وأكد انه سيواصل العمل في المشاريع التي انطلقت فيها الوزارة..منوها بتعاون الجميع لما فيه الارتقاء بالعمل الثقافي وتعزيز دوره في تطوير عملية التنمية .

وأكد الوزير عوبل على استكمال الجهود في مواصلة البناء المؤسسي للمؤسسات الثقافية وتطويرها ..لافتا إلى الظروف الصعبة التي تمر بها الوزارة .. منوها بأهمية تكاتف الجهود والاصطفاف مع حكومة الوفاق الوطني لإخراج البلاد من الأزمة الخانقة والوصول باليمن إلى دولة النظام والقانون.

فيما استعرض وزير الثقافة السابق الدكتور محمد المفلحي ابرز الانجازات التي تحققت للوزارة خلال فترة إدارته في جميع مجالات العمل الثقافي منوها بالمشاريع التي تتطلب تواصل الجهود ... مشيرا إلى خصوصية تضافر الجهد المجتمعي في الارتقاء بالعمل الثقافي باعتبار الثقافة عمل مجتمعي بالدرجة الأولى .

وفي الحفل الذي تخلله مقطوعات موسيقية للفرقة الوطنية ألقى مستشار وزارة الثقافة محمد عبد السلام منصور كلمة موظفي وزارة الثقافة عبر فيها عن الترحيب بالوزير الجديد والتوديع للوزير السابق مثنيا بما تحقق للوزارة خلال فترة الوزير السابق متمنيا ان يتحقق المزيد خلال فترة الوزير الجديد.

حضر الحفل قيادات الوزارة ونخبة من رموز المشهد الثقافي.

تصوير/ فؤاد الحرازي

مكتبة زبيد تشارك في المؤتمر الـ22 للاتحاد العربي للمكتبات بالخرطوم

زبيد – سبأ

تشارك مكتبة زبيد العامة في المؤتمر الـ ٢٢ للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات الذي تحتضنه العاصمة السودانية الخرطوم خلال الفترة من ١٨ ـ ٢١ ديسمبر الجاري .

وأوضح مدير مكتبة زبيد هشام عبدالله لوكالة الأنباء اليمنية (سبأ) أن مكتبة زبيد أول مكتبة يمنية تحصل على عضوية الاتحاد العربي وتشارك لأول مرة في المؤتمر الذي يشارك فيه ممثلين عن كبريات المكتبات العربية ومجموعة من الباحثين الأكاديميين في مجال المكتبات والمعلومات.

وأشار بأن المؤتمر سيناقش عدداً من المحاور وأوراق العمل حول معايير المكتبات العربية والموسوعة العربية للمكتبات والمعلومات وتشكيل فريق متطوعي الاتحاد في الأقسام العلمية والمكتبات الكبيرة ودور النشر في كل دولة مشاركة وغيرها من المحاور.

لافتاً إلى أنه سيتم استعراض تجربة مكتبة زبيد العامة وأنشطتها في مجال المكتبات والمعلومات، وكذا المكانة العلمية والتاريخية والثقافية لمدينة زبيد المصدرة للكتاب منذ القدم ..

إصدارات ثقافية

(شعرية النثر)..

دمشق – تشكل بعض اللحظات الهامة من تاريخ السرد موضوع كتاب شعرية النثر للمؤلف «تزفيتان تودوروف» الذي جال في كبرى النثريات العالمية من الأوديسة وألف ليلة وليلة متطرقاً إلى كبار الروائيين مثل هنري جيمس وديستوفيسكي.

وانطلق تودوروف في كتابه الذي ترجمه عدنان محمود محمد من تحليل دقيق لأشكال المسرود ووظائفه ووجد نفسه ملتزماً في تفكير يتم فيه التساؤل حول تقدم الداخل على الخارج والأصيل على المنسق والحضور على الغياب والكائن على الآخر.

واستعرض الكاتب خصائص النص المسرود في الأوديسة مبيناً أساليب استخدام الكلام المموه مشيراً إلى أن الأوديسة لا تحوي أي مفاجأة فكل شيء قد قيل سلفاً وكل ما قيل فيها حصل معتبراً أن هذا يضعها في تناقض كبير مع المسرودات اللاحقة إذ تلعب المفاجأة دوراً أكثر أهمية بكثير.

وانتقى الباحث في دراسته «البشر كمسرودات في قصة ألف ليلة وليلة» مبيناً أن التحليل الداخلي للطباع غاب عن هذه القصة فهي لا تحوي على وصف للحالات النفسية مشيراً إلى أنها تظهر خصوصية المسرود وترمز اليها بصورة بالغة الوضوح فالمسرود في هذه القصة يساوي الحياة وغيابه يساوي الموت.

وتحدث الكاتب عن روايات هنري جيمس بوصفها حسبما اتفق النقاد والمعاصرون ممتازة من الناحية التقنية ولكن يعيبها نقص الافكار الكبرى وغياب الحرارة الإنسانية لافتاً أن المسرود عند جيمس يرتكز على البحث عن قضية مطلقة وغائبة مستشهداً ببعض الأمثلة من قصصه.

وبين الكاتب أن السر لدى هنري جيمس يكمن في قصصه القصيرة المعزولة وأسلوبه القائم على تأكيد الغياب واستحالة الإشارة إلى الحقيقة باسمها مبيناً أن جيمس خضع دائماً للقانون نفسه البحث عن الحقيقة وليس اظهارها فالبحث عن الكنز أهم من الكنز نفسه لأن الكنز لا يمكنه أن يكون إلا غائباً ولاسيما أنه بعد قراءة أعمال جيمس يجب البحث عن معنى أعماله مع العلم ان المعنى ليس الا البحث نفسه.

وفي فصل بعنوان «القراءة بوصفها بناء» توقف الكاتب عند قراءة النصوص ذات الخيال الكلاسيكي وبالتحديد النصوص التي قيل عنها تمثيلية مبيناً أن الجمل الاحالية وحدها هي التي تتيح البناء كما أن الأسلوب المباشر هو الوسيلة الوحيدة لحذف أي اختلاف بين الخطاب السردي والعالم الذي يذكره.

يذكر ان تزفيتان تودوروف باحث في المركز القومي للبحث العلمي وهو قطب من أقطاب البنيوية منظر فذ وناقد اتحف الأدب العالمي بكتاباته المتميزة طوال اكثر من أربعين عاماً كتب خلالها حتى الآن أربعاً وثلاثين دراسة موزعة على مجالات النقد النظري والتطبيقي وحتى التاليف الموسوعي.

بدأ مسيرته النقدية عام ١٩٦٥ بكتاب نظرية الادب نصوص الشكلانيين الروس وصدر اخر كتاب له عام ٢٠٠٧ وهو بعنوان الأدب في خطر وهو يستذكر فيه ماضيه الشخصي والفكري.

دراسة عن الثورة الفرنسية والنظام القديم

● أصدر المركز القومي للترجمة بالقاهرة كتاب «النظام القديم والثورة الفرنسية» للكاتب الفرنسي أليكسى توكفيل، ترجمة خليل كلفت.

وضع توكيل كتابه هذا بعد ثورة ١٧٨٩ الفرنسية الكبرى، بقرابة ستين سنة كذلك، إذ لم يكن من الممكن لأحد أن يتنبأ بهذه الثورة أو تلك، حيث يستحيل التنبؤ بالثورات بوجه عام مهما قال قائل أو آخر إن حالة اجتماعية سياسية ما تتجه بأمة أو دولة إلى ثورة لا يعرف موعدها أحد.

وهنا يقول مترجم الكتاب خليل كلفت «كما كان على توكيل أن يدرس ويحلل ثورة بلاده بعد ستين سنة، فعلينا أن ندرس ونحلل ثورتنا الآن، والفرق هو أنه كان يقوم بتشريح جثة، مهما قال إن تلك الثورة كانت ما تزال مستمرة، على حين أن علينا أن نقوم هنا والآن بدراسة ثورتنا في خضم تطوراتها لكي نسير بها إلى الأمام في مواجهة أخطار كبرى تهددها، وربما كان الخطر الأكبر يتمثل في سياقها التاريخي ذاته وفى طبيعتها وفى نتائج الثورات في العالم الثالث بوجه عام».

إذ يرى كلفت أن كتاب توكيل يقدم لنا عونا كبيرا في هذا المجال رغم أن السياق التاريخي لثورته تختلف جذريا عن السياق التاريخي لثورتنا، ويحدد توكيل منذ الجملة الأولى في مقدمته لكتابه طبيعة هذا الكتاب، قائلا: «الكتاب الذى أقدمه الآن ليس أبدا تأريخا للثورة الفرنسية، فذلك التاريخ مكتوب بصورة أروع من أنْ أفكر في إعادة كتابته، إنه بالأحرى دراسة عن هذه الثورة».

ويتألف الكتاب من ثلاثة أقسام: فتناول القسم الأول طبيعة الثورة، ويدرس القسم الثاني بفصوله الاثنى عشر الوقائع «المادية» لهذا «النظام القديم»، في حين يبحث القسم الثالث مسألة لماذا حدثت الثورة في فرنسا دون غيرها من بلدان أوروبا الغربية، ويطرح توكيل أسئلة متكررة تناولها في القسم الأول من الكتاب، وهى: «ماذا كان الموضوع الحقيقي للثورة؟ وما هي طبيعتها الخاصة في نهاية المطاف؟ ولماذا على وجه التحديد تم القيام بها؟ وماذا حققتْ؟»، وهو يفنّد الأحكام المتناقضة عن الثورة، موضحاً أن موضوعها لم يكن تدمير السلطة الدينية المسيحية ولا إضعاف السلطة السياسية، وأنها كانت ثورة سياسية وإنما اتخذت مظهر الثورات الدينية بحكم طابعها الفكري العالمي وتبشيرها بمبادئ تنسجم مع روح العصر، أما ما حققته الثورة الفرنسية بالفعل فقد تمثل في كونها تكملة لعمل طويل سابق عليها.

ويدرس القسم الثاني، المخصص لدراسة الوقائع «المادية» لهذا «النظام القديم»، فيشرح طبيعة «النظام القديم» الذى تمثلت الرسالة التاريخية للثورة في تحريره من القيود والأغلال الملَكية والإقطاعية، لكي يندفع كمجتمع رأسمالي.

ويركز توكيل في هذا الجزء على المجتمع الفرنسي الأقدم في سبيل استكشاف الاختلاف بين الأحداث في فرنسا والتطور العام لأوروبا، ويبحث أصول الثورة الفرنسية خاصة في أوروبا.

والنظام القديم، عند توكيل، لا يعنى حالة اجتماعية بل أزمة حالة اجتماعية، ليس المجتمع الإقطاعى أو الأروستقراطى القديم بل فترة متأخرة لهذا المجتمع عندما صار ممزقا بين المبادئ المتناقضة، وانفصال النظام المدنى عن النظام السياسى، واللامساواة المدنية، والمساواة السياسية، تساوى الجميع فى الخضوع للملك، وعلى هذا الأساس كانت فرنسا هى التى اندلعت فيها الثورة، لأنها كانت قد بدأت فيها بالفعل، مختفية وراء اسم «النظام القديم»، ويطبق توكيل تسمية «النظام القديم» على فترة الحكم المطلق أى المركزية الإدارية، ويعنى هذا أن الصيغة الثورية كان لها واقع تاريخى على مدى فترة قصيرة نسبيا فقط، تمتد من عهد «لويس الثالث عشر» إلى عهد «لويس السادس عشر»، أى على مدى أكثر من قرن.

وكما يقول كلفت، فإن الثورة الاجتماعية إذن هي العمليات التراكمية الطويلة التي يتحقق من خلالها الانتقال من نظام اجتماعي إلى نظام اجتماعي آخر وقد تحتاج في فترة من فترات تطورها إلى ثورة سياسية عنيفة بطبعها في مواجهة المقاومة الداخلية «الحروب الأهلية» والخارجية «الحروب الدفاعية والهجومية»، ويجب أن يكون واضحا أن الحديث عن عنف الثورات لا ينبغي أن يحجب عنا حقيقة أن ثورات التطورات التدريجية لا تجهل العنف فهي بدورها وربما بصورة أكبر ثورات دامية من خلال أشكال وأنواع من الحروب الداخلية والخارجية قد تجلبها تطورات بنيوية وظرفية، داخلية وخارجية، عسكرية واقتصادية، ويكفى التوقف قليلا عند بعض التراكمات البدائية لنرى مدى وحشيتها داخل وخارج الحدود بل إن الحرب تكاد تكون شكلاً نموذجياً كشرط من الشروط الموضوعية للانتقال مثلا من العبودية إلى الإقطاع.

أما في القسم الثالث يتساءل توكيل من كتابه : لماذا إذن سارت فرنسا فى طريق الثورة العنيفة؟ ولماذا حدثت الثورة فى فرنسا دون غيرها من بلدان أوروبا الغربية التي كانت تشترك معها في نفس مسيرة الحضارة الرأسمالية الحديثة، من جهة، والتي كانت شعوب بلدان منها «ألمانيا بالذات» تعانى معوقات الامتيازات والحقوق الإقطاعية والملكية وبقايا القرون الوسطى بصورة أشدّ وطأة بما لا يُقاس؟

ويوضح الكاتب وجود عدة عوامل مهدت فرنسا لذلك الحدث الكبير، لاندلاع ثورة ١٧٨٩ منها: ضعف الإقطاع، ضعف القنانة، إفقار وتدهور النبلاء، تطور الملْكية العقارية الفلاحية، نمو الصناعة والزراعة والعلاقات السلعية النقدية، تبلور طبقة برجوازية من رجال المال والأعمال، تبلور طبقة عمالية واسعة، الثورة الفكرية والأدبية وبروز الفلاسفة والمفكرين والأدباء كقيادة سياسية للشعب، ازدياد الشعور بوطأة الامتيازات والحقوق الإقطاعية والنفور الشديد منها ومن الإقطاع الديني بحكم هذه التطورات التقدمية ذاتها، التهاب كراهية اللامساواة والرغبة في الحرية، الاندفاع الثوري الناتج عن كل هذا.

وهناك مسألة دقيقة يطرحها توكيل ويعيد طرحها المرة تلو المرة وهى المفارقة المتمثلة فى التناقض بين ما أراد الفرنسيون أن يحققوه عندما قاموا بثورة ١٧٨٩ وما حققوه بالفعل، بين الهدف المنشود والمحصلة، مما يكشف عن تناقض عميق للغاية بين الحلم الذى يلْهب الشعوب إبان الثورات وفى فترات الإعداد لها وفى فترات أولى تالية لانتصارها، من ناحية، والإدراك الواعي للمحتوى الحقيقى لهذه الثورات، من الناحية الأخرى.

فثورة ١٧٨٩ هي رأسمالية من حيث محتواها، وبالتالي رأسمالية من حيث قيادتها وأهدافها ورسالتها التاريخية وأداة كبرى لتحقيق النظام الاجتماعي الاقتصادي الرأسمالي، فلا عجب إذن في أنْ يعانى الفرنسيون في نهاية المطاف استغلاله وقهره بعيدا عن الحرية والمساواة والإخاء التي كانت شعارات تعبئة البشر الذين كانوا وقود الثورة، ولا عجب إذن فى أن يصطدم الحلم القائم على الأوهام بالواقع الوحشي الذي يتحقق بتراكم «طبيعي».

ولا يعنى هذا أبدا التقليل مما حققته الثورة بالفعل، فقد كانت من الأدوات التاريخية الكبرى لرفع الشعب الفرنسي إلى مستوى الحضارة الرأسمالية، فهذه الحضارة مرحلة تاريخية كبرى متصاعدة إلى الأمام مهما بلغتْ وحشيتها ضد «مواطنيها» وضد «الآخرين»، فهي لا تملك بحكم طبيعتها إلا أن تكون وحشية.

ويؤكد توكيل على أن الفرنسيين إنما قاموا بتشييد صرح مجتمعهم الجديد باستخدام أنقاض «الثورة الأولى» أي «النظام القديم»، وإذا كانت ثورة ١٧٨٩ ما تزال مستمرة في زمنه، كما يقول، فإن تلك «الثورة الأولى» أو «النظام القديم» هي التي كانت مستمرة إذن.